

(أسطورة سيزيف في الشعر العربي المعاصر)

م.م. ميديا محسن علي خان - جامعة التنمية البشرية

المقدمة

تُعد الأسطورة من المواضيع الشيقة التي أثارت انتباه الشعراء والنقاد والباحثين ، لقد شاهدنا منذ منتصف القرن الماضي توجهاً واسعاً نحو الاسطورة بكل أنواعها و الأساطير اليونانية على وجه التحديد ، و هذا التوجه لايزال قائماً الى يومنا هذا ، فأردنا أن نبين الأسباب التي أدت الى هذا الأمر ، صحيح أن الأبحاث التي أُجريت حول الاسطورة عديدة و لكننا نرى هذا الحقل واسعاً لدرجة تتسع لعشرات بل لمئات الابحاث الأخرى ، وهذا البحث يركز على مفهوم الاسطورة وإنعكاس شخصية سيزيف في الشعر العربي المعاصر، وتكمن أهمية البحث في أنه يتمحور حول شخصية اسطورية اختلف الشعراء في تفسيرهم لرمزيتها كل حسب رؤيته لهذه الشخصية. ففي قراءتنا للشعر العربي المعاصر تعارفنا عدة مرات على إسطورة سيزيف فرأيناها رمزاً للعذاب الأبدي و اليأس و اللاجدوى تارةً و رمزاً للأمل و المقاومة تارةً أخرى ، و كيف ذلك؟ كيف يحمل الشيء الواحد نقيضين؟ من الذي وُفق في فهمه لهذه الاسطورة؟ هل هناك جهة رابحة و جهة خاسرة في تطرقهم لسيزيف؟ كيف رأى الشعراء سيزيف؟ هذا ما نحاول الوصول اليه في هذا البحث.

والبحت مقسّم الى مبحثين : المبحث الأول: الاسطورة و تلهّف الشاعر العربي المعاصر لها ، و المبحث الثاني: أسطورة سيزيف في الشعر العربي المعاصر، وهذا من خلال نماذج شعرية من الشعر العربي المعاصر .

وتضمّنت الخاتمة أبرز النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الأول: الأسطورة وتلهّف الشاعر العربي المعاصر لها**المطلب الأول: الأسطورة ومفهومها**

هناك العديد من الروافد التراثية التي أدت الى اغناء القصيدة العربية المعاصرة و بعض هذه الروافد قديمة و بعضها جديدة ، غربية أو شرقية ، أجنبية أو عربية ، من أهمها (الأسطورة)، و هي من أثن كنوز المعرفة و أقدمها ، حيث من خلالها نستطيع الوقوف عند العديد من القضايا التي تهتم بالخلق و الوجود و الانسان بشكل عام ، الى جانب احتفاظها بشيء من الضبابية و الغموض و التشويق نجد فيها العجائب و الغرائب و يتحقق فيها كل ما لا يمكن تحقيقه في العالم الحقيقي . نجد في الأسطورة اندماجاً رائعاً للحقائق التاريخية بالمعتقدات الخرافية ، اندماج المنطق باللامنطق ، اندماج الحقيقة بالخيال. وإذا ما أردنا أن نعرّف الأسطورة نجد أنفسنا في مواجهة العديد من التعاريف المختلفة كل من منظور

مختلف ورؤية مختلفة، ونرى بأن هذه الاختلافات حول تعريف الأسطورة و ماهيتها تعود الى إتساع عالم الأسطورة و شموليته و مطاطيته . وإذا ما عدنا وبحثنا في القواميس والموسوعات عن تعريف الأسطورة نجد في معظمها تعاريف متشابهة للأسطورة فعرفوها بأنها ((حكاية خرافية، شعبية الأصل وغير متروية، يُمَثَّلُ فيها الفاعلون اللاشخصيون، وفي الأغلب تُمَثَّلُ فيها قوى الطبيعة في صور كائنات شخصية، ويكون لأفعالها أو مغامراتها معنى رمزي))^(١).

كما قالوا عنها ((سرد قصصي مُشوَّه للأحداث التاريخية تعمد اليه المخيلة الشعبية))^(٢).

نرى هنا أن الأسطورة تمثل حكاية خرافية أو قصة خيالية فيها أحداث غير واقعية وغير منطقية تعبر عن الظواهر الكونية وقوى الطبيعة بطريقة غير واقعية، وقال وبستر عنها ((هي رواية أعمال إله أو كائن خارق ما، تقص حادثا تاريخيا خياليا، أو تشرح عادةً أو معتقداً أو نظاماً أو ظاهرة طبيعية))^(٣). إلا أننا لا نتفق مع هذه التعاريف التي لا ترى في الأسطورة غير قصة خيالية مشوقة لا أكثر، صحيح أن الأسطورة ((من نتاج الخيال، ولكنها ليست مجرد وهم))^(٤). ولا ننسى أن ((الأسطورة و إن اشتملت على الاحلام و إنفعالات و تصورات و أخيلة ، فإنها اشتملت أيضاً على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها بعد ربطها بشرطها التاريخي ، و مكانها في النسق المعرفي لزمكانها))^(٥).

فهي لها جذور تاريخية، ومستقاة من الحقيقة وإن صُبِغَتْ فيما بعد بطابع خرافي خيالي بعدما أبدعت في رسمها مخيلة الإنسان، ولنا أن ((نأخذ الأسطورة بعين الجد لأنها تكشف عن حقيقة مهمة، وإن يتعذر إثباتها- حقيقة لنا أن ندعوها حقيقة ميتافيزيقية))^(٦).

كما تُعدُّ الأسطورة ((الوعاء الأثمل الذي فسر فيه البدائي وجوده ، و علل فيه نظرتة الى الكون ، محددًا علاقته بالطبيعة من خلال علاقته بالآلهة التي إعتبرها القوة الميسرة و المنظمة و المسيطرة على جميع الظواهر الطبيعية من تعاقب الفصول ، و الليل و النهار ، و الخصب و الجفاف ، مازجاً فيها الجانب السحري بالديني ، وصولاً الى تطمين نفسه ووضع حد لقلقه و أسئلته الكثيرة))^(٧).

(١) موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند، تر: خليل أحمد خليل، المجلد الثاني، ط٢، ص ٨٥٠.

(٢) المعجم الأدبي: جبور عبدالنور، ص ١٩ وانظر أيضا (المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي، ج ١، ط ٢، ص ٩١) و (معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي، ص ٢٧-٢٨)

(٣) الأساطير اليونانية والرومانية: أمين سلامة، ص ١٠.

(٤) مقابل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى): هـ.فرانكفورت، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ص ١٨.

(٥) الأسطورة و التراث : سيد القمني ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦) مقابل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى): هـ.فرانكفورت، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ص ١٨.

(٧) الأسطورة في شعر السيتاب: عبدالرضا علي، ص ١٩ وانظر أيضا (الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية : عزالدين

اسماعيل، ص ٢٢٢).

وهي ((حلقة إتصال هامة بالماضي . و كثيرا ما تكون هي المصدر الوحيد لمعارفنا عن الكيفية التي نظر بها أسلافنا الاقدمون الى العالم حولهم و كيف فسروا ظواهره العديدة))^(١) . أي إذا أردنا ان ننظر من منظار البشر الأوائل الى الوجود ونحاول فهم الحياة فخير وسيلة أمامنا هي الأسطورة، فهي كأنها مرآة لتفكير الناس آنذاك ومعتقداتهم وطرق تفسيرهم لكل الظواهر الموجودة من حولهم، ثم حوّلت العقول المبدعة هذه المعتقدات والمفاهيم الى تحف أدبية بعد مزجها بكمّ هائل من عناصر الشعر ومن أهمها الخيال.

كما أن الأسطورة تحمل في طياتها ((تركيبية درامية ، و دراما الاسطورة القديمة هي المحاولة الدائمة للربط بين العالمين الخارجي و الداخلي ، و بين المرئي المحسوس و غير المحسوس في سبيل خلق نوع من التوازن بين العالمين في ضمير الانسان الذي يرتبط وفقاً لاستعداده الخاص – بالعالمين على السواء ، و بقدر متوازن في أصله))^(٢) ولطالما حاولت الأسطورة التوفيق بين جميع العوالم المختلفة.

المطلب الثاني: أسباب تلهُف الشاعر العربي المعاصر للأسطورة

لقد ملّ الشاعر العربي المعاصر من الدوران في نفس الحلقات التي فرضتها اسس الشعر العربي التقليدي ، و أراد الارتقاء بالشعر العربي من خلال القفز من المباشرة الى الايحاء و الغموض ، و إحدى أهم وسائل إعطاء أبعاد غامضة للشعر هي الاسطورة ، و التي لها تأثير أكبر في المتلقي الذي هو متلهف لكل ما هو جديد. صحيح ان هناك اشارات الى الاساطير في الشعر العربي القديم إلا أنها إشارات خاطفة لا تتعمق في الأبعاد المختلفة للأسطورة مقارنة بالشعر العربي المعاصر .

ونجد أن الأدباء والشعراء خاصة قد توجهوا نحو توظيف الأسطورة كتقنية شعرية هامة جدا لاغنى عنها عند البعض لأنهم يرون بأن الأسطورة ((هي المادة الخام التي يمكن أن تكون قوام الأدب))^(٣) . وهذا الاهتمام بالأسطورة و توظيفها لم ينحصر لدى الأدباء فقط بل إنتقل الى النقاد أيضاً حيث يقول بعضهم عن الأسطورة بأنها ((هي الاصطلاح المفضل في النقد الحديث ، و هي تشير الى و تحوم على حقل من المعاني ، يشترك (كذا) فيه الديانة و الفلكلور و علم الانسان و علم الاجتماع و التحليل النفسي و الفنون الجميلة))^(٤) . كما تُعدُّ ((منبع الادب و منهج النقد))^(٥) .

-
- (١) الاساطير اليونانية و الرومانية : أمين سلامة ، ص ٧ .
 (٢) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص ٢٢٩) وانظر (الاسطورة و التراث : سيد القمني ، ص ٢٤ - ٢٥)
 و (درامية النص الشعري الحديث : علي قاسم الزبيدي ، ص ١٦٧) .
 (٣) المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي، ج ١، ص ٩١
 (٤) نظرية الأدب: أوستن وارين و رينيه ويليك، تر: محيي الدين صبحي، ص ٢٤٥ .
 (٥) النظرية الادبية الحديثة و النقد الاسطوري : حنا عمود ، ص ١١٤ .

وهنا نتفق مع الحقيقة التي تقول: إننا ((عادة ما نجد في الأساطير مشاعر إنسانية جيّاشة ، و أحاسيس ، و تصورات و مواقف ، تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود ، و على محاولاته الفكرية الأولى ، و التي تتضمن خلاصة تجاربه و ماضيه ، و كيف كان يستنتج من هذه التجارب منطقته و مفاهيمه و تعامله مع واقعه ، وفق منطق خاص ، و وفق مضامين أخلاقية ، تمت صياغتها في قوالب أدبية ذات خصوصية ، توارثتها الأجيال و عدلت فيها و أضافت إليها ..))^(١).

ولكن هذا لا يعني أن النص الشعري الخالي من الأسطورة هو نص ناقص، بل هناك مئات بل آلاف النصوص الخالية من الأسطورة والتي توازي أروع النصوص المحتوية على الأساطير، وهناك الكثير من النصوص الشعرية الممتلئة بالأساطير ولكنها نصوص فجّة، فصدق التجربة الشعرية ومقدرة الشاعر في إيصال ما يريده هما اللذان ينجحان النص الشعري وليس التقنيات الشعرية لوحدها.

لقد أمسى علمنا عالماً مادياً مقيداً بالعديد من القواعد و القوانين من جهة و بالحقائق العلمية التي لا تترك الكثير من المجال للعاطفة و الخيال من جهة أخرى ، و الأدباء عامة و الشعراء على وجه الخصوص يشعرون بأنهم قد فقدوا الاتصال مع العالم البدائي الذي كان الانسان يستكشف فيه كل شيء للمرة الأولى و يستمتع بكل شيء ، من هنا ((حاول الأديب المعاصر أن يبحث عن العالم الذي يمكن له أن يعيده الى شيء من طبيعته الأولى ، يلائم فيه بين تجسيد البدائي لتأمله ، و طموح الانسان الحديث في إعادة خلق عالمه . فلم يجد غير العودة الى الوعاء الأول ، الى الأسطورة ، يحاكيها ، يتنفس سحرها ، يستلهمها ، يوظفها ، يعيد بناء العالم الذي ينشده بكلمات طقوسها))^(٢). كما يمكن أن تكون دوافع إستخدام الاسطورة و اللجوء إليها في الشعر العربي المعاصر دوافع فنية أو فكرية أو سياسية أو إجتماعية أو جميعها معاً . و لا ننسى حب التقليد و التمثل بكل ما هو غربي عند البعض ، ونلخص بعض الأسباب التي دفعت الشاعر العربي المعاصر الى توظيف الأسطورة في شعره:

١-الإفادة من الطاقة الرمزية التي تتواجد في الاسطورة لتعينه على تحقيق ما يريد الوصول إليه من خلال شعره

٢- إستحضار الانسان الاول في إنقى صورته و أصفائها

٣- إدراكه لأهمية التراث و روحه الابداعية

٤- التمتع بالحرية التي تتواجد في الاسطورة

٥- الإفادة من الغنى الفني الموجود فيها و الذي يساعده على إكتشاف ذاته و تعميق تجربته الشعرية^(٣) .

وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة من قِبَل الشعراء نرى بعضهم قد وفق في سعيه وبعضهم لم يُوفّق لأن ((نجح الشاعر في توظيفه للأسطورة يعتمد على مدى ما يتمتع به من قدرة على إستلهاها بصورة فنيّة تبعد عن المباشرة ، و في

(١) الاسطورة و التراث : سيد القمني ، ص ٢٥ .

(٢) الاسطورة في شعر السياب: عبدالرضا علي، ص ١٩-٢٠ .

(٣) أنظر : درامية النص الشعري الحديث : علي قاسم الزبيدي ، ص ١٧٣ .

الوقت ذاته على تكيفها مع تجربته الحاضرة))^(١). وإختيار الاسطورة و دمجها في الشعر كان عفويا و تلقائيا عند بعض الشعراء أو في بعض المقاطع الشعرية و هذا هو المحبذ ، و نراه إقحاما قسريا و بعيداً عن فحوى القصيدة و لا يخدم النص الشعري عند بعضهم ..

المبحث الثاني: أسطورة سيزيف في الشعر العربي المعاصر

المطلب الأول: أسطورة سيزيف

هناك بعض الشخصيات الاسطورية تحولت فيها بعد لرموز ولصفات معينة يمكن إطلاق عبارة (الرمز الاسطوري)^(٢) على تلك الشخصيات. ومن بين الشخصيات الأسطورية تطرق العديد من الشعراء المعاصرين لإختيار شخصية سيزيف، وإرتأينا أن نخصص مطلباً لهذه الشخصية المشوقة كي نتعرف عليها أكثر، جاء في قاموس أساطير العالم ان سيزيف كان ((احذق البشر كما يقول الاغريق القدامى و قد عوقب على حذاقته بأن يعمل بلا نهاية و لاتوقف في العالم السفلي الى الابدية . اذ حكمت عليه الآلهة بان يدحرج مرمرة الى قمة تل ثم تسقط قبل وصولها القمة. و هو رمز للعبث و كان سيزيف ملك كورنثيا و كان ملكاً بخيلاً))^(٣).

نرى تصوير سيزيف مختلفاً في القواميس فيشار اليه كشخص متمرّد حرق القوانين، كما وصف بالبخل! ولكننا نراه شخصية مختلفة في كتب الادب، فيشار اليه بانه كان ملكاً بطلاً لم يقبل الطغيان والظلم وتمرد في وجه الآلهة التي قيدت البشر بالعديد من الأمور، ومن هنا نرى توجه الشعراء لإختيار هذه الشخصية في شعرهم كشخصية ايجابية عوقب عقابا ظالما وقاسيا جدا.

لقد أتهم سيزيف ((بالسخرية بالآلهة لقد سرق أسرارها فقد إختطف جوبيتر ايجينا ابنة ايسوبس ، و تأثر الوالد من إختطافها و شكها امره الى سيزيف ، و لما كان سيزيف يعلم بأمر الاختطاف فقد عرض على ايسوبس ان يخبره عنه على شرط ان يعطي ماء الى قلعة كورنث . لقد فضل بركة الماء على الرعد السماوي ، و عوقب على ذلك في العالم السفلي))^(٤).

لم يكتف سيزيف بإفشاء أسرار الآلهة بل أن ((سيزيف كان قد وضع الموت في الأغلال و لم يحتمل بلوتن منظر امبراطوريته الصامتة المهجورة : فأرسل إله الحرب الذي حرر الموت من يد داحره))^(٥).

وبعد أن خدع سيزيف إله الموت عاش حياة مديدة ثم ((إن سيزيف لقربه من الموت ، اندفع الى اختبار حب زوجته ، و طلب منها أن تُلقني ببحثه غير المدفونة وسط الساحة العامة ، و يستيقظ سيزيف في العالم السفلي . و هناك،

(١) درامية النص الشعري الحديث: علي قاسم الزبيدي ، ص ١٧٤ .

(٢) الشعر العربي المعاصر ظواهره و قضاياها الفنية والمعنوية : عزالدين اسماعيل ص ٢٠٢

(٣) قاموس أساطير العالم : آرثر كورتل، تر: سهى الطريحي، ص ١٢٦ .

(٤) اسطورة سيزيف : البيركامو ، تر: أنيس زكي حسن، ص ١٣٨ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٨ .

حين ضايقته الطاعة المناقضة للحب البشري ، حصل على الاذن من بلوتن بالعودة الى الارض لكي يعاقب زوجته . و لكن حين رأى وجه هذا العالم مرة اخرى ، و نعم بالماء و الشمس ، و الصخور الدافئة و البحر ، لم يرد أن يعود الى الظلام الجهنمي ، و لم تجد معه النداءات و علامات الغضب و التحذيرات . و عاش عدة سنوات مواجهها تقوس الخليج ، و تألق البحر ، و إبتسمانات الارض . و صار ضرورياً أن يصدر مرسوم من الآلهة . و اقبل عطارد (اله البلاغة) و قبض على الرجل الصفيق من ياقته ، و بعد إن أحتطفه من مسراته ، قاده بالقوة الى العالم السفلي ، حيث كانت الصخرة معدة له))^(١).

لذا نستطيع أن نقول : ((إن سيزيف هو البطل اللاجدي))^(٢).

لقد دفع ثمن حبه للحياة و تنصله من الآلهة و خداعهم بأن يعاقب بالعمل الأبدي من أجل لاشيء ! من أجل اللاجدوى .

لقد صور ألبير كامو حياة سيزيف في العالم السفلي تصويراً مبدعاً حين قال : ((إن المرء يرى مجهود الجسد كله يتوتر ليرفع الصخرة ، ليحركها ، ليدفعها الى الأعلى ، فوق منحدر يرتفع مائة مرة ، و يرى المرء الوجه ملتويًا ، و الخدّ متوتراً بجانب الصخرة ، و الكتف و هو يعانق الكتلة المغطاة بالطين ، و القدم و هي تستند لتدفع و البداية الجديدة و الساعدين و هو يشمرهما ، و اليدين البشريتين المغطاتين ببقع الطين ، و في نهاية مجهوده الطويل الذي يقاس بفضاء لا جو له و لا سماء ، و زمن لا عمق فيه ، يتم تحقيق الهدف . ثم يرقب سيزيف الصخرة و هي تتدحرج الى أسفل في لحظات معدودات ، نحو ذلك العالم السفلي الذي يجب عليه ان يرفعها منه ثانية نحو القمة و يعود الى السهل))^(٣).

نفهم من كلام ألبير كامو أن الإنسان جميعهم كسيزيف ، فهو معاقب بعذاب أبدي ، بعمل يقوم به مرارا وتكرارا دون أي جدوى دون أن يكون لتعبه هدف ، و نحن أيضاً كذلك، فنحن البشر أيضاً مقيدون بروتين الحياة نكرر كل يوم نفس الأشياء تقريباً دون تغيير يذكر ، و ما الهدف؟! ومعظم الناس يموتون وهم في خضم هذا الروتين اليومي الممل القاتل، إذن نحن جميعاً سيزيف، نعيش في اللاجدوى و العثبية و من أجل اللاجدوى و العثبية ، بل سيزيف أحسن حالاً من معظم البشر لأن الذي يعانیه هو نتيجة إختياراته الحرة ، فقد عاش كما أراد لذلك لا يستطيع هذا العقاب أن يهزمه لكننا نحن البشر لا نعيش كما نريد و معاقبون بعذاب أبدي لذا ترانا نياس و نفقد الأمل بسرعة .

وربما يعود سبب إختيار الشعراء لهذه الشخصية في أنها من البشر الفانيين فسيزيف ليس الها ولا نصف اله بل هو رجل من لحم ودم يمتلك قلبا ومشاعر فيتعاطف الشعراء المعاصرون أكثر معه، وعندما يرون ألمه وعذابه وصراعه كأنهم

(١) أسطورة سيزيف: البير كامو، تر: أنيس زكي حسن، ص ١٣٩. انظر ايضاً (تأثير اسطورة سيزيف اليونانية في قصيدة (كتيبة))

لاخوان ثالث و قصيدة (المنفى) للبياتي : شهريار همتي ، جهانكير أميري ، بيمن صالحى (مجلة (دراسات في اللغة العربية و آدابها ، العدد ١٣ ، ٢٠١٣ م ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) أسطورة سيزيف: البير كامو، تر: أنيس زكي حسن ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ١٣٩-١٤٠ .

ينظرون في المرآة، وعندما يرون تمرده ووقوفه في وجه الظلم والظالم حتى وإن كان إلها فهذا يولد فيهم الحماس ويتواصلون مع الثائر الداخلي فيهم.

المطلب الثاني: سيزيف رمزا لليأس والعذاب الأبدي والعيشة

هناك العديد من الشخصيات الأسطورية التي تحولت الى عناصر رمزية، وهذه ((العناصر الرمزية التي يستخدمها الشاعر المعاصر بعد أن يستكشف لها بعداً نفسياً خاصاً في واقع تجربته الشعورية ، معظمها مرتبط في الاسطورة أو القصة القديمة بالشخص و المواقف . و هذه الشخص و المواقف . و هذه الشخص و المواقف إنما تستدعيها التجربة الشعورية الراهنة لكي تضفي عليها أهمية خاصة . فالتجربة إنما تتعامل مع هذه الشخص و المواقف تعاملاً شعرياً على مستوى الرمز ، فتستغل فيها خاصة الامتلاء بالمغزى أو بأكثر من مغزى ، تلك الخاصة المميزة للرمز الفني))^(١). وشخصية سيزيف صارت رمزا فنيا للعذاب الأبدي واليأس والعيشة، ونراها تعكس العقوبة والألم السرمدى في أعمال العديد من الشعراء العرب المعاصرين، إختارنا من بين هذه الأعمال التي تعكس هذا المعنى الرمزي لسيزيف ثلاث قصائد مختلفة، ونحاول بيان دور هذه الشخصية الأسطورية في كل قصيدة منها ، وهي:

١ . قصيدة (رسالة من المقبرة) من ديوان (أنشودة المطر) لبدر شاكر السيّاب :

أهدى السياب قصيدته (رسالة من المقبرة) الى ثوار الجزائر و هي قصيدة مطولة سنقف عند المقاطع ذات الصلة بالبحث ، يقول الشاعر في مقطع منها:

و عند بابي يصرخ الاشقياء

أعصر لنا من مقلتيك الضياء

فإننا مُظلّمون

وعند بابي يصرخ المخبرون

و الصخر يا سيزيف ما أثقله

سيزيف إن الصخرة الآخرون^(٢)

على عكس بعض القصائد المدروسة الأخرى في هذا البحث ، نرى أن الشاعر قد إستخدم سيزيف كرمز لليأس و العذاب الأبدي والموت ، فالأشقياء و البؤساء قد إصطفوا أمام باب الشاعر يطالبونه بشيء من الضوء ينير لهم الطريق

(١) الشعر العربي المعاصر ظواهره و قضاياها الفنية :عزالدين اسماعيل ، ص ٢٠٣ .

(٢) أنشودة المطر: بدر شاكر السيّاب، ص٧٢-٧٣.

فهم عميان يعيشون في ظلام دامس ، و ما الظلام هنا إلا الحياة البائسة التي يعيشونها و هم يحملون صخرة سيزيف، الصخرة المرادفة للألم و الهم و العذاب الأبدي، و يناجي الشاعرُ سيزيف و كأنه يقول له نحن جميعاً مثلك يا سيزيف نزرخُ تحت ثقل الصخرة و نعاني معك ، أنتَ يا سيزيف صرتَ اسطورة و صار إسمك خالداً للأبد . لكن لا يهتم أحد بنا و نحن مثلك نحمل الصخرة ولكن لا أحد سيتذكرنا.

و يقول الشاعر في مقطع آخر :

في فوهة القبر المغطاة سور
هذا مخاض الأرض لا تياسي
بشارك يا أحداث حان النشور
بشارك في وهران أصداء صور
سيزيف ألقى عنه عبء الدهور
و استقبل الشمس على الأطلس
آه لوهران التي لا تثور^(١)

في المقبرة تُصاب الارض بالمخاض ، مخاض مؤلم و قاسٍ نتيجته إطلاق الموتى من القبور ، فما الأحداث إلا قبوراً و ما النشور إلا عملية بعث الموتى و لكن الشاعر بدل أن يشعر بالخوف من بعث الموتى و مجيء يوم القيامة نراه يُبشّر القبور بمجيء القيامة و يُبشّر وهران بإطلاق الصور ، و كما نعرف ايضاً أن الصور هو القرن الذي يُنْفَخ فيه لتنبية الموتى و الاستعداد للمحاسبة يوم البعث ، و لكن الموتى سعداء بهذا اليوم لأنهم كانوا أمواتاً لمدة طويلة جداً ، حتى حين كانوا أحياء كانوا لا يبصرون ، كانوا لا يعيشون ، كانوا معاقبين بعذابٍ أبدي و حملوا كسيزيف صخوراً و صخوراً ، فليس الموتى فقط من يستبشرون بالبعث بل سيزيف نفسه يشاركهم السرور ، فهو ربما سيتخلص من صخرته و آلامه و عذابه الابدي حين يقابل إله أكثر عدالة من الإله الذي عاقبه بالعذاب الأبدي .

وربما الموتى في هذا المقطع هم الأحياء الذين لم يثوروا بعد في وهران و بقية مدن الجزائر ، و حين يثورون على صوت الصور، هو اليوم الذي يُبعثون مرة اخرى للحياة ، و يتخلصون من قيود الذل و الحرمان و صخرة العبودية .

١ . انشودة المطر: بدر شاكر السياب، ص ٧٣-٧٤

٢. قصيدة (كلمات سبارتاكوس الأخيرة) من الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقل:

يستخدم الشاعر تقنية القناع لكي يتقنَّ بشخصية سبارتاكوس والتي هي شخصية تاريخية كانت من العبيد و نظمت ثورة ضد الإمبراطورية الرومانية ولكنها إنتهت بصلبه مع الآلاف من العبيد الآخرين ، والشاعر تحوّل الى سبارتاكوس حين صلبه و يتوجه من خلاله الى العالم و الى إخوته العرب على وجه الخصوص ، وإستخدامه لهذه الشخصية قد يعود لأسباب منها تأثره بالشخصيات غير العربية من الثوار خاصة ، أو ربّما لكونه يعتبر سبارتاكوس رمزاً لكل أنسان نائر ، لكل من لا يرضى بالظلم و لايسكت عن الحق دون الاهتمام بجنسية هذه الشخصية ، او ربّما لأنه يعرف إذا تحدّث عن لسان شخصية تاريخية مشهورة قد يستمع الناس إليه أكثر ، أو أو

و نقصد بالقناع أن يتحد شاعر ما بشخصية معينة و يتوجه بما يريد من خلاله و يذوب في هذه الشخصية حيناً و يختبئ وراءها حيناً آخر^(١).

يا إخواني الذين يعبرون في الميدان مطرفين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الاكبر:

لا تتجملوا ... و لترفعوا عيونكم إليّ

لأنكم معلقون جانبي .. على مشانق القيصر

فلترفعوا عيونكم إليّ

لربّما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عينيّ

يبتسم الفناء داخلي .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرّة!^(٢)

يتوجه الشاعر و هو مصلوب و يلفظ أنفاسه الأخيرة الى إخوته الذين يمرون من طريقه منحني الرأس و يرحوهم أن يرفعوا رؤوسهم حتى و إن كانت لرؤية الموت في عينيه لأنه ملّ من شدة خضوعهم و من سكوتهم ، و يراهم قد إنحنوا لدرجة صاروا يخجلون من رفع الرؤوس و يقول لهم أنهم أموات مثله لا محالة لأنهم عبيد و العبودية مساوية للموت في نظر الشاعر ، و السكوت و الخضوع هما من طبائع العبيد .

نتلمس عند الشاعر غضباً عارماً ممزوجاً باليأس و لكنه يرفض اليأس و يريد أن يبحث عن شرارة أمل في عيون إخوته حتى إذا رفعوا رؤوسهم للحظة واحدة ، و لكنه لا يصل الى نتيجة مرجوة من مناجاته لهم ، فهم صاروا كأنهم

(١) انظر معجم المصطلحات الأدبية : ابراهيم فتحي، ص ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) الاعمال الشعرية الكاملة: أمل دنقل، ص ١١٠-١١١.

أحياء أموات يمشون دون هواده في هذا العالم ، لا يرون الظلم لا يسمعون الظلم ، صاروا صمًا بكماً و لا يذوقون الظلم، صاروا صمًا بكماً عن الحق فقط لكي يعيشوا و أيما عيش!
يستمر الشاعر بقوله :

سيزيف لم تعد على أكتافه الصخرة
يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق
و البحر .. كالصحراء .. لا يروي العطش
لأنّ مَنْ يقول ((لا)) لا يرتوي إلا من الدموع!
..فلترفعوا عيونكم للنائر المشنوق
فسوف تنتهون مثله .. غداً
و قبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق
فسوف تنتهون ها هنا ... غداً^(١)

يتطرق الشاعر في هذا المقطع لإسطورة سيزيف تطرقاً مغايراً و مختلفاً ، فهو لا يرى بأن سيزيف هو الذي يحمل الصخرة و ليس هو الذي عوقب بهذا الفعل المؤلم الممل الخالي من الهدف بل على العكس تماماً ، الشاعر يرينا بأن سيزيف هو المنتصر و هو البطل لأنه وقف في وجه الطغاة (الآلهة) و على الرغم من عقوبته الأبدية إلا أنه هو الفائز ، و الذين يحملون صخرة سيزيف و معاقبون بهذا الفعل الأبدى هم العبيد أو أشباه العبيد أي الذين يطيعون الأوامر دون طلب تفسير و يتغاضون عن كل ظلم و يسكتون عن كل ذل، فعبارة (مخادع الرقيق) عبارة ملفتة جدا للنظر للإشارة الى الأفراد و الجماعات التي ولدت حُرّة بالمفهوم الظاهري للحرية و لكنها تنتمي الى شريحة العبيد و الرقيق في الطبيعة و السلوك .

يقول الشاعر (البحر كالصحراء لا يروي العطش) و يقصد هنا أن الحُرَّ هو كالعبد إذا لم يستطع أن يقف في وجه الظلم و الفساد ، صحيح أن البحر عبارة عن ماء و لكنه ماء مالح لا يستطيع أن يروي العطش و الذي يفرح بماء البحر ليرتوي كالذي يفرح بالصحراء ليرتوي ، فلن يحصل على مبتغاه من أي منهما ، فما فائدة أن يكون الانسان حرّاً إذا لم يمارس الحرية بكل معانيها ، إذا لم يعرف حقوقه وواجباته ، إذا لم يعرف متى يقول ((لا)) ؟ فهذه الحرية مساوية للعبودية تماماً .

يطلب الشاعر من إخوته بأن يودعوا زوجاتهم و عائلاتهم لأن مصيرهم الموت لا محالة في أقرب فرصة ، بل يعتبرهم أمواتاً منذ الآن ، ولطالما مصيرهم الموت فلماذا لا يختارون أن يعيشوا ما تبقى من حياتهم بحرية و كرامة .

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: أمل دنقل، ص ١١١.

و نلاحظ أن الشاعر إستخدم سيزيف هنا كمعادل اسطوري لشخصية سبارتاكوس التاريخية فكلاهما وقفا في وجه الطغيان و كلاهما واجها عقوبة صارمة غير أنهما صارا خالدين في ذاكرة العالم و لايعتبر الشاعر العقوبة التي تعرضا إليها قاسية مقارنة بقساوة حياة العبودية التي إرتضى بها العديد من الأفراد و الجماعات ، و يعتبر أن هؤلاء هم الذين يعيشون في عقوبة أبدية و ليس سيزيف أو سبارتاكوس .

و إذا لم يحس الانسان بأنه حرُّ في وطنه فهو بالتالي ميّت ، فالميّت لا يحسّ و لا يغيّر و لا يهتم ، لهذا نراه يتوجه الى الناس بلفظة ايها الموتى ، و الإنسان إذا لم يكن حرّاً فهو عبداً و إذا كان عبداً فهو ميّت .

٣. قصيدة (في المنفى) لعبدالوهاب البياتي من ديوان (أباريق مهمشة):

يقول الشاعر في مقطع من قصيدة (في المنفى) :

عبثاً ، نحاول - أيها الموتى - الفرار

من مخلب الوحش العنيد من وحشة المنفى البعيد^(١)

يتوجه الشاعر الى الموتى و هو ضمنهم أيضاً و يقول لهم نحن نحاول الفرار منذ الأزل من مخلب الوحش من المنفى ، و لكنها محاولة فاشلة غير مجدية ، و لانعتقد المنفى هنا غير الوطن نفسه و لكنهم يظنونه منفى لأنهم لم يعودوا يشعرون بحس الانتماء إليه و يشعرون بأنهم غرباء فيه و ضياع ، و لظالما أحسن الإنسان بأنه ضحية ضعيفة في المنفى لا يقدر على فعل شيء ، و يستمر الشاعر :

الصخرة الصماء ، للوادي ، يدحرجها العبيد

((سيزيف)) يُبعثُ من جديد ، من جديد

في صورة المنفى الشريد^(٢)

يستخدم الشاعر إسطورة سيزيف كرمز لعبثية ما يفعله الناس الآن في أوطانهم ، فهم كعبيد يدفعون صخرة صماء دون أن تصل الى هدف منشود ، فالناس اذا لم يستطيعوا ان يغيروا شيئاً في أوطانهم ليسوا إلاّ عبيداً في المنفى ، كل يوم يبعث سيزيف و يولد من جديد ، كل انسان صار سيزيفاً بحاله يدفع و يدفع و يدفع و لكنه لن يصل الى شيء ، بل المنفى هو سيزيف و الوطن هو سيزيف يدفع بصخرة لا طائل منها و لا مستقبل منها و يستمر الشاعر :

(١) أباريق مهمشة: عبدالوهاب البياتي، ص ١٠٩-١١٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١٠ .

ماذا تريد ؟

القمح من طاحونة الاسياد يسرقه العبيد

ماذا تريد ؟

الورد لاينمو مع الدم و الحديد

طلل وييد

تقضي ، بقية عمرك المنكود فيها تستعيد

حلماً لماضٍ لن يعود!

حلم العهود الذابلات مع الورود

كانت حياتك من جليد^(١)

يحدث حوار ضمن القصيدة و طرفا الحوار ربما هما المنفى و الشاعر ، فالمنفى يسأل الشاعر (ماذا تريد) و هو يجاوبه بأن العبيد (و هم الناس) بدؤوا يسرقون القمح من طاحونات الأسياد ، لأنهم قد أستجوعو و جاعوا و كما نعلم أن عقوبة العبيد على السرقة هو الموت و الشاعر يفشي سر السرقة ربما لأنه يفضل أن يموت على أن يعيش على هذه الحالة من العبودية ، و يكرر المنفى سؤاله (ماذا تريد) و يجاوب الشاعر بأن الورد لا ينمو مع الدم و الحديد ، أي يا أيها المنفى إذا أردت ألا يسرق العبيد فعليك أن تحررهم (طلل وييد) أي من ارض قد ارتوت دماً و هلاكاً و دماراً. يحنّ الشاعر الى الماضي ، الى ماضٍ كان يشعر الإنسان فيه كأنه أنسان و ليس عبد ، حُرُّ أبيّ و لكنه سرعان ما يُدكّر نفسه بأن هذا مجرد حلم فهو لن يعود أبداً و لن يتحقق في المستقبل حتى ، إن الشاعر و قصيدته غارقان في التشاؤم و سيزيف يشاركهما هذا التشاؤم و البؤس و العبثية في المحاولة لتحسين الحياة .

المطلب الثالث: سيزيف رمزا للتحدي والمقاومة والأمل

على عكس المعنى الرمزي المفهوم من اسطورة سيزيف، نرى وجهة نظر مختلفة عند بعض الشعراء الذين رأوا في سيزيف رمزا للأمل والتحدي والمقاومة، رمزا للإستمرارية، رمزا للوقوف في وجه الظلم، رمزا لتحمل نتيجة إختياراتنا الحرة، وإخترنا ثلاث قصائد تُعكس هذه الرؤيا، وهي:

(١) اباريق مهشمة: عبدالوهاب البياتي، ص ١١٠ .

١. قصيدة (الى سيزيف) من الأعمال الكاملة لأدونيس:

أقسمت أن أكتب فوق الماء
 أقسمت ان احمل مع سيزيف
 صخرته الصمّاء
 أقسمت ان اظل مع سيزيف
 اخضع للحمى و للشرار
 ابحت في المحاجر الضريرة
 عن ريشة اخيرة
 تكتب للعشب و للخريف
 قصيدة للغبار
 أقسمت ان اعيش مع سيزيف^(١)

يبدأ الشاعر قصيدته بالقسم ، القسم لمشاركة فعل مؤلم و متعب و ممل و بلا نهاية مع الشخصية الاسطورية سيزيف ، الشاعر على دراية جيّدة بإسطورة سيزيف يعرف أن حمل سيزيف لصخرته الى أعلى الجبل و سقوطها الى أسفل الجبل فعل أبدي لا نهائي ، ولن يستطيع الشاعر أن يغير هذا المصير ولكنه رغم ذلك يختار مساعدة سيزيف في حمله للصخرة على الرغم من إدراكه بأن محاولته هذه عديمة الجدوى غير أنه يريد أن يبين مدى إصراره في مواجهة مصائب الحياة ، يبين أصراره على الاستمرار و المقاومة ، يريد أن يصرخ بأن الحياة مهما صارت قاسية و مؤلمة لن تستطيع هزيمته ، صحيح أن حمل الصخرة الى قمة الجبل و سقوطها في كل مرة سيؤدي بالكثيرين لإعلان اليأس و الاستسلام إلا أن الشاعر هنا يتحدّى و يجد بين برائن اليأس الأمل.

و هنا يظهر إختلاف الشعراء عن باقي الناس ، فكل من يقرأ اسطورة سيزيف يكاد يتفق مع غيره أن حمل الصخرة و سقوطها نوع من العقاب الصارم و لا يجلب الى ذهن المتلقي غير اليأس و التشاؤم ، و لكننا نرى عند أدونيس - و بعض من الشعراء - انه إستطاع ان يحوّل هذا العقاب الابدي الى نوع من التمسك بالحياة و التفاؤل و الاستمرارية.

وإذا ما تمعنا بالنظر الى شخصية سيزيف قد نجدها شخصية مخادعة لانوحي بالثقة لكونها قد خدعت الآلهة عدة مرات و خالفت القوانين و تمردت ، ولكن قد يخالف البعض هذا التفسير بل ويرى فيها الشجاعة والقوة في وقوفه في

(١) الاعمال الكاملة: أدونيس، ص ٢٣٦.

وجه الآلهة وربما من وجهة النظر هذه تحوّلت هذه الشخصية الى رمز للأمل عند ادونيس لأنه بدوره يعشق مخالفة القوانين و التمرد .

قد يرى البعض سمة العبثية و اللاجدوى في نهاية سيزيف و يصل به الأمر أن يفهم من أسطورة سيزيف أن لا هدف للإنسان في هذه الحياة، غير أن ادونيس ربما يريد أن يقول أن الحياة في ذاتها هي الهدف و علينا أن نجد المتعة حتى في أكثر الامور إيلاماً و إرهاقاً ، فالشعور بأننا حين نكون على قيد الحياة قد أصبنا الهدف من الوجود وهذا يدفع بنا على التحمل أكثر في وجه المصائب و المصاعب حتى و إن كانت على شاكلة صخرة عملاقة ندفعها الى القمّة كلما سقطت الى الاسفل .

ولكن حين قرأنا القصيدة مرارا وتكرارا ادركنا انه قد يتبادر الى ذهن المتلقي لوهلة بأن هناك نوع من المفارقة في قصيدة ادونيس ، ففي البداية يقول (أقسمتُ أن أكتب فوق الماء) و من الجلي أن الكتابة فوق الماء اشارة واضحة الى العبثية و عدم الجدوى وراء هذا الامر ، أي انه يفعل شيئاً لا طائل منه بتاتاً و يرمز الى ضياع الهدف من الحياة ، ولكنه سرعان ما يتفائل و يتوعد بحمل الصخرة مع سيزيف !! و يقرر بهذا مواجهة الحياة مهما كانت قاسية و مؤلمة .

أو ربما قرر ادونيس أن يأتي بفعل مشابه لدرجة الصخرة لدى سيزيف ، و هو الكتابة على الماء ، فهما بذلك يصبحان متمثالان ، فالكتابة فوق الماء فعل عبثي بلا هدف كما هو دحرجة صخرة سيزيف ، و كأن الشاعر يتحدى و يتحد في الوقت نفسه مع سيزيف

قد يريد ادونيس بقسمه بحمل الصخرة مع سيزيف أن يعلن عن موقفه تجاه الآلهة ، وأنه يريد كشف أسرار الآلهة و الأفياء بها كما فعل سيزيف عندما أفشى عن إختطاف (إيجينا ابنة إله النهر) من قبل زيوس ، فعشق التمرد متأصل في ادونيس منذ صباه و لهذا نراه يتطوع لحمل الصخرة مع سيزيف .

و القسم هنا هو لبيان مدى إلتزام أدونيس بهذا الأمر و أنه يعلن للعالم أيضاً مدى هذا الإلتزام. و هو حين يقسم بأن يبحث عن الريشة الأخيرة يريد أن تكون الكلمة الأخيرة له ، و ليس للآلهة يريد أن يكون هو الذي يقرر مصيره و ليست الآلهة .

٢ . قصيدة (سيزيف يمتطي السحاب) لإبتسام أبوشرار في جريدة الديار اللندنية:

تعد قصيدة (سيزيف يمتطي السحاب) لإبتسام ابو شرار مطولة في الرثاء لذكرى الرئيس الفلسطيني الراحل (ياسر عرفات)

نبدأ بالعنوان (سيزيف يمتطي السحاب) لقد تعرفنا على قصة سيزيف و اسطورهته و نحس مباشرة أن رؤية الشاعرة لهذه الاسطورة رؤية مختلفة عن اللواتي سبقت ، فسيزيف المعاقب بعقاب أبدي قد تخلص من عقابه و وصل السماوات و يمتطي السحابا ، كيف ذلك؟! هذا ما نحاول الوصول اليه .

تحدث الشاعرة عن الرئيس الراحل (ياسر عرفات) بقولها :

و خطوات بإصرار خطواتك الحلالا ،
 مُدَّحَمَت الصخرة ترفع أنصابه فوقها ،
 وذرعتَ جبال الشقاء بخطو الوثاقِ ،
 لا تُثْنِيكَ براثن غَدَّار ،
 و ثنيتَ هواجسه ،
 و نكيتَ دسائسه ، و فضضتَ مجالسه ،
 و سكنتَ الذرى ، و اعتليت التلالا ،
 تحمل شعلة مجدك^(١)

دون أن تذكر (سيزيف) بشكل مباشر تقول بأن الراحل كان يمشي بخطوات واثقة حاملا صخرة سيزيف المشهورة بكل قوة و يصعد الجبل دون ملل و هو لا يحمل الصخرة فقط بل يحمل هموم شعب بأكمله و يصعد و يصعد و يصعد دون إهتمام بأعدائه و دسائسهم و مكائدهم ، هذه الصخرة صارت شعلة للمجد بيد الراحل و ينير بها الطريق لشعبه ، أي أن سيزيف هنا معادل للبطل الشعبي ثم تكمل و تقول :

و يُرْتَمُّ عُشاق الارض لحن البقاء :
 سيزيف تَمَهَّل ... سيزيف تَمَهَّل ... سيزيف تَمَهَّل ...
 سيزيف تَرَجَّل ... سيزيف تَرَجَّل ... سيزيف تَرَجَّل ...
 سيزيف تَعَجَّل ... سيزيف تَعَجَّل ... سيزيف تَعَجَّل ...
 و الصدى يرتدُّ : تقدَّم ... تقدَّم ... تقدَّم ...
 و أبيتَ إلا أن تسمو في هواك^(٢)

يبدو هنا أن محيي الراحل و مؤيديه يطالبونه بالتمهل في صعوده لقمة الجبل حاملاً صخرته حيناً و يطالبونه بالتعجل حيناً آخر و لكنه يأبى العدول عن إيصال الصخرة الى قمة الجبل و يسمع فقط عبارة (تقدَّم) و يتقدم لأنه يرى بأنه في طريق لا عودة فيه وماله إلا أن يتقدم الى الأمام و الى القمة فهو لديه مهمة و يريد أن يكملها على أتم وجهه .

(١) ابتسام أبوشرار، جريدة الديار اللندنية، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٢ . www.Aldiyarlondon.com

(٢) المصدر نفسه.

وتكمل الشاعرة :

و عرجت الى الذروة

و عرجت الى الذروة

و الصخرة تستلّ انفاسها من صدرك ،

و أنت تستلّ زفيرك من جوف إرادتك ،

و القمم الشماء تزغرد ، و تبارك وهج خطاك .

و السفح يناجيك ، و الريح تعوي ،

و تغق صقور الوادي ،

و الأفاعي تفحّ ، و تلفظ أنفاسها المسمومة في كل مُفعاة^(١)

تستمر الشاعرة في صور فنية جميلة بوصف رحلة الراحل الى قمة الجبل ، تلك الرحلة المستمرة الأبدية و تقول بأن الصخرة تأخذ بأنفاس الراحل و تقوى بها ، و هو يقوى بأنفاس إرادته و عناصر الطبيعة كلها تتحد تشجيعاً له ، فالقمم تزغرد و السفوح تناجي والرياح تعوي و الصقور تغق ، بينما الأفعى و التي ترمز الى اعداء الراحل تموت بسمها ، في اسطورة سيزيف نرى سيزيف وحيداً في معاناته و مواجهته لعقوبته الصارمة بينما سيزيف هنا مدعوم بقوى خارقة تشجعها على الاستمرار و المقاومة و عدم الاستسلام ، سيزيف هنا مستمر في حمل صخرته بكل قواه و لا يعرف طريقاً غير الطريق الى القمة ، صحيح أن همومه و آلامه عديدة و لكنها لا تستطيع هزيمة عزيمة الراحل في مهمته التي وضعها نصب عينيه ، و تقول الشاعرة :

و رحلت ،

و إمتطيت السحاب ،

و ظللت تحلق فوق الذرى ،

و الطير إنفضت أسراها ،

و العصفير صارت تندب^٢

(١) ابتسام أبوشرار، جريدة الديار اللندنية، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٢. www.Aldiyarlondon.com

(٢) المصدر نفسه.

معلوم أن قصة سيزيف تتركنا مع استمرارية العقاب الأبدي له و ترمز لليأس ، غير أن سيزيف هنا يرتقي لمستوى آخر ، فهو حين يصل الى القمة يتخلص من آلامه و يصعد للسماء و يمتطي السحاب ، فالسحاب صارت مسخرة له، و لكنه لا يصل حياً الى السحاب بل بعد أن يفارق الحياة في قمة الجبل تصعد روحه الى السماء و تمتطي السحاب ، و برحيله جميع عناصر الطبيعة تندبه وتولول لفراقه ، فقد كان يحمل آلام و هموم آلاف الناس معه و برحيله صار هؤلاء مُبتلين بآلام لا يقدرّون على حملها لوحدهم ولا يجدون أحداً يحمل معهم الحمل الثقيل .

جميع المصادر تتفق فيما بينها حول أكثر المعلومات المتوفرة عن الشخصيات الاسطورية و تختلف في بعض التفاصيل و لكن نرى الشاعر تُحوّر الاسطورة و تعطيها مفهوماً جديداً و لكن ليس كل مفهوم جديد يصبّ في مصلحة النص الشعري بل الجديد الذي هو ((الاجادة في التعديل الذي يزيح العمل الادبي عن الاسطورة النموذجية وفقاً للضرورات القائمة))^(١).

وفي هذه القصيدة سيزيف بطل يصعد الجبل بلا هواده يحمل الصخرة بكل قواه ، فهو لا يصعد ذلك الجبل لنفسه فقط بل لمجتمع بأسره و لا يحمل الصخرة عقاباً من الآلهة بل طواعية كي يقلل من الآم شعبه ، يصعد و يصعد و يصعد دون كلل و هو سيزيف محارب مثابر و على عكس سيزيف الاسطورة نراه في قمة الجبل يتخلص من صخرته و الآمه و يصعد الى السماء يمتطي السحاب كي يروي أرض الوطن حتى بعد موته ، صحيح أن سيزيف لم يجد خلاصه و لكن سيزيف الموجود في القصيدة قد وجد خلاصه أخيراً ، وهذا يظهر لنا أن في قدرة الشاعر أن يتلاعب بكل ما هو موجود في الحياة ، حتى الاساطير التي صارت حكايات راسخة غير قابلة للتغيير ، مخيلة الشاعر واسعة لدرجة تمكنه أن يرى أشياء لا يراها غيره و يحرف ما يريد و متى يشاء ، مما يعطي المتلقي متعة أكثر ، فحين نعرف أسطورةً و نراها في قصيدة تسري مسراها الصحيح نُعطينا إنطباعاتاً مختلفاً تماماً مقارنة بالإنطباع الذي يتكون عندنا حين نرى أسطورة مألوفة قد تحولت الى شيء جديد تماماً مما يجعلنا نستمتع بها أكثر .

٣. قصيدة (الصخرة) لأدونيس من الأعمال الكاملة له:

رضيْتُ بما شئتُه : أغنياتي

خبزي و مملكتي كلماتي

فيا صخري أثقلي خُطواتي

حملتك فجراً على كتفي

رسمتُك رؤياً على قَسَماتي^(٢)

(١) النظرية الادبية الحديثة و النقد الاسطوري : حنا عبود : ص ١٠٨ .

(٢) الاعمال الكاملة: ادونيس، ص ١٨٠ .

في هذا المقطع الشعري لأدونيس يفخر الشاعر بكونه شاعراً ، لا يهتم بأراء الآخرين طالما لديه شعره ، فالكلمات عنده هي الخبز و القوت ' هي الوطن ، هي البيت الدائىء للشاعر ، و لكنها في نفس الوقت هي صخرة الشاعر التي عوقب بحملها طيلة حياته و لكنه لا يمانع ، بل و يتحدى العالم حين يناجي صخرته و يطالبها بأن تُثقل خطواته في مسيرته في الحياة ، صحيح قد تكون خطواته ثقيلة بفعل الصخرة و لكنها خطوات راسخة ثابتة ، إن الشاعر هنا لم يذكر سيزيف بالإسم و لكن لشدة إرتباط الصخرة بسيزيف يمكن لنا بكل سهولة أن نستشف سيزيف في كلماته ، و لكن سيزيف الشاعر مختلف عن سيزيف الاسطورة ف((الرمز إذا تجمّد عند مغزى بعينه فقد قيمته الشعرية ، و من ثم كان دور الرمز المعين في كل قصيدة يختلف نوعاً من الاختلاف عن دوره في قصيدة أخرى ، سواء أكانت للشاعر نفسه أم لشاعر غيره))^(١).

فسيزيف الاسطورة قد عُوقب بحمل الصخرة بعد أن عاش حياة مديدة و تجارب عديدة و لكن شاعرنا قد حمل صخرته منذ الفجر أي منذ إن كانَ شاباً فتياً عوقب بحمل الصخرة لأنه إختار الكلمات و طناً و خبزاً ، تحدى العالم و الناس جميعاً ، و لكنه يحمل صخرته بكل فخر و لا يتكاسل لأن العقاب هنا عقاب مُرّ حلّو ، مُرّ لأن عقاب مفروض ، حلّو لأنه جاء نتيجة حريته في الاختيار و التعبير.

(١) الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية): عزالدين اسماعيل، ص ٢٢٠ .

الخاتمة و النتائج

توصلنا في بحثنا المتواضع هذا الى عدة امور نلخصها في الآتي :

- ١- التوجه الواسع نحو الاساطير عامة و الاساطير اليونانية على وجه التحديد و الذي بدأ منذ منتصف القرن الماضي ولا يزال مستمراً الى يومنا هذا .
- ٢- لقد بالغ الشعراء و النقاد على حد سواء في الاهتمام بالاسطورة و كأنها هي الحيلة الأخيرة لإنقاذ الشعر العربي المعاصر من الغرق في وحل التكرار و الرتابة .
- ٣- وجدنا الاسطورة تحمل في طياتها كثافة في المعنى و الدلالة ، و يستطيع الشاعر بإشارة واحدة الى اسطورة ما ان يحمل في قصيدته كل المعاني التي تحملها تلك الاسطورة المشارية اليها .
- ٤- يتعامل بعض الشعراء بنوع من الإهمال مع الاسطورة و يحاولون فقط إستخدامها و إقحامها في أعمالهم كضرورة عصرية وكنوع من عرض العضلات الثقافية لدى الشاعر غافلين عن الحقيقة التي تبين أن الاسطورة سلاح ذو حدين ، و قد تؤذي النص الشعري أكثر مما تفيده .
- ٥- يتعامل بعض الشعراء بوعي أكبر مع الاسطورة ، فلا يستعجلون عرض ما يريدون بل ينتظرونه كي يختمر جيداً ثم يمزجونها بأسطورة تتداخل عفويماً بالتجربة الشعرية للشاعر و يقدمونه كنص ناضج و مشبع للذوق الأدبي لدى المتلقي .
- ٦- على الرغم من تماثل المعلومات حول بعض الشخصيات الاسطورية كسيزيف ، غير أننا نراها ترمز الى صفات مختلفة بل ومتناقضة لدى الشعراء ، و هذا يؤدي الى تشويق أكبر في النص الشعري .
- ٧- ليست هناك جهة رابحة و جهة خاسرة في تطرقهم لاسطورة سيزيف ، أي لانستطيع أن نقول أن الذين تطرقوا لاسطورة سيزيف كرمز لليأس و العذاب هم الموفقون أما الذين رأوها رمزاً للأمل لم يوفقوا بحسب المعنى الحقيقي للأسطورة ، فنحن في عالم الشعر و في عالم الشعر ليس هناك شيء اسمه التمثل بالحقيقة بل أن يشعر المتلقي بأنه أمام نص أصيل سواء كان سيزيف فيه رمزاً لليأس أو رمزاً للأمل .

المصادر والمراجع

*الكتب:

١. أباريق مهشمة (شعر): عبد الوهاب البياتي، منشورات دار الآداب، ط ٤، بيروت-لبنان، ١٩٦٩.
٢. الأساطير اليونانية والرومانية: أمين سلامة، د.م.ط، د.ت.
٣. أسطورة سيزيف: البير كامو، تر: أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٨٣.
٤. الأسطورة في شعر السياب: عبدالرضا علي، منشورات وزارة الثقافة العراقية، العراق، ١٩٧٨.
٥. الأسطورة والتراث: سيد القمني، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط ٣، مصر، ١٩٩٩.
٦. الأسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة: جان بيير فرنان و بيير فيدال ناكبه، تر: حنان قصاب حسن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ١٩٩٩.
٧. الأعمال الشعرية (أغاني مهيار الدمشقي وقصائد أخرى): أدونيس، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق-سوريا، ١٩٩٦.
٨. الأعمال الشعرية الكاملة: أمل دنقل، مكتبة مدبولي، ط ٣، القاهرة-مصر، ١٩٨٧.
٩. انشودة المطر: بدر شاكر السياب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٦٩.
١٠. درامية النص الشعري الحديث (دراسة في شعر صلاح عبدالصبور و عبدالعزيز مقالح): علي قاسم الزبيدي، دار الزمان، دمشق-سوريا، ٢٠٠٩.
١١. الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية): عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط ٣، د.ت.
١٢. قاموس أساطير العالم: آرثر كورتل، تر: سهى الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ٢٠١٠.
١٣. ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الاولى): ه.فرانكفورت و ه.أ.فرانكفورت و جون.أ.اولسن و توركيل جاكسون، تر: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، بيروت-لبنان، ١٩٨٠.
١٤. المعجم الأدبي: جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٧٩.
١٥. معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي، التعااضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس-تونس، ١٩٨٦.
١٦. المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي، ج ١، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت-لبنان، ١٩٩٩.
١٧. موسوعة لالاند الفلسفية: اندريه لالاند، تر: خليل أحمد خليل، المجلد الثاني، منشورات العويدات، ط ٢، بيروت، ٢٠٠١.
١٨. نظرية الأدب: اوستن وارن و رينيه ويليك، تر: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، سوريا، ١٩٧٢.
١٩. النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، ١٩٩٩.

*المجلات والجرائد:

١. جريدة الديار اللندنية، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٢ www.Aldiyarlondon.com